المذاهب الإسلامية
في تفسير القرآن

تأليف

اجنتس جولدتسيهر
Ignaz Goldziher
الأستاذ بجامعة بودابست (سابقا)

نقله إلى العربية

علي حسن عبد القادر
دكتور في الفلسفة والعلوم الإسلامية من جامعة برلين
المدرس في كلية الشريعة
وسكرتير المعهد الثقافي الأسلامي
بلندن

الطبعة الأولى

١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٣

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم .

مقدمة

كان الأزهر الشريف قد قرر فى جلسته المنعقدة فى (١٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦١هـ الموافق ٤ مايو سنة ١٩٤٢م) تأليف لجان لترجمة بعض أمهات كتب الغرب إلى اللغة العربية ؛ حتى يتيسر بذلك إدخال عنصر جديد من طرق البحث فى العلوم الإسلامية والفلسفة والتاريخ ، يساعد العلماء والطلاب على الدرس والبحث والاستضاءة بما كتب فى ذلك ؛ وحتى يتوفروا على النقد والرد عند الحاجة .

ولقد حالت ظروف دون تنفيذ هذه الأمنية التى كان يتمناها جمهور العلماء والطلاب ، ولا زال يكلفهم الجرى وراءها عنتا ومشقة ؛ لعدم معرفة الكثيرين منهم باللغات الأجنبية . !

وقد طلب إلى بعض الأساتذة الغيورين أن أنقل إلى العربية كتابا من كتب المستشرقين ، أتوخى فيه أن يكون جامعا لملاحظاتهم وأفكارهم فى العلوم الإسلامية ، وموضحا لطريقتهم فى البحث العلمى ؛ حتى يمكنهم أن يتعرفوا هذه النواحى التى تتصل بهم أشد الاتصال ، وحتى يمكنهم أداء رسالتهم على الوجه الكامل : بعرض صحيح للدين والعلم ، ورد للشبهات التى قد يقرؤها بعض الغرباء عن العلوم الإسلامية ، فتستهويهم أو تغلب على نفوسهم الغضة ، فيقعون فى مهالك سحيقة . . . !

ومن الحق أنى قد اقتنعت كل الاقتناع بهذا الرأى ، ورأيت أن رسالة العلماء ـ فى الحقيقة ـ ليست داخلية بحتة ، مقصورة على تربية النشء الإسلامى ، ولكن وراء هذا رسالة خطيرة ، فى هذا العصر الذى ضعفت فيه همم الشباب ، وقلت رغباتهم فى قراءة الكتب الإسلامية القديمة ، وأعرضوا عن تلك الثقافات العربية الأصيلة ، إلى ثقافات زائفة : غشيت الأبصار ، وطغت على القلوب والأفئدة . . . فلا بد أن يؤخذ الأمر بشىء من الجد ، وأن يتوافر العلماء على تجديد الأبحاث الملائمة للعصر ، وعرض الثقافة الإسلامية عرضا جيدا موافقا لما تقتضيه الأحوال ؛ وأن يتوافروا ـ أيضا ـ على تصحيح الأخطاء والأغلاط التى أملاها الهوى والغرض على بعض الكتاب المستشرقين : هؤلاء الذين لا يمكن أن ننكر عليهم دقة البحث ، وحسن العرض فى كثير من الأحيان ، ولكن ينقصهم شىء كثير من المعرفة والفهم الصحيح العميق للعربية وروح الدين . . . !

ولا شك أن ترجمة كتبهم ، وتعرف مافيها من صحيح وسقيم ، سيفيد العلماء والباحثين فائدة مزدوجة ؛ فهو ـ من ناحية ـ سيساعد على تعرف طرق البحث العلمى الحديث ، وطرق الاستنتاج والعرض ، فنكسب ـ بذلك ـ إظهار ثقافتنا الإسلامية فى ثوب رشيق ومنطق حسن ؛ ومن جهة أخرى فإنه سيساعد على الرد والنقد والتصحيح للأخطاء التى تملأ الأجواء المحيطة . . .

* * *

ولقد اخترت هذا الكتاب ـ الذى أعرضه الآن على الباحثين ـ من بين الكتب الأخرى لمعان كثيرة لمستها فيه ؛ فهو كتاب لشيخ من شيوخ المستشرقين معروف بطول الباع معرفة مستفيضة ، وهو : الأستاذ « جولد تسيهر »[1] ؛ وقد

---

(١) ولد فى (٢٢ يونيو سنة ١٨٥٠) بمدينة « استولغيسنبورج » فى بلاد المجر ، ومات فى (١٣ نوفمبر سنة ١٩٢١ م) بمدينة « بودابست » . راجع ترجمة حياته لبكر فى Islamstudien 2, 499-513 وقد نقلها إلى العربية الأستاذ عبد الرحمن بدوى فى كتاب « التراث اليونانى » : ص ٣٠٧ ـ ص ٣١٩ .

خصص جهده للبحث فى العلوم الإسلامية بوجه خاص ، فكتب فى : الفقه ، والحديث ، والفلسفة الإسلامية . . . وغير ذلك ، كتبا معتمدة لدى جمهور المستشرقين ، وقد كان هذا الكتاب آخر كتاب له ألفه عند تمام السبعين من عمره ، وملأه بتجاريبه فى البحوث الإسلامية ، حتى إنه ليعد ـ فى نظرى ـ أشمل وأدق كتاب فى ذلك بوجه عام ، فألم فيه بالتفسير ، والحديث والعقائد ، والقراءات ، والتصوف ، والفرق . . . وما إلى ذلك ، وبذل فيه مجهودا ملموسا من الاطلاع المتشعب فى الكتب الإسلامية ، ووضع فيه تجاريب سنيه القديمة ، وتجاريب زملائه وتلامذته ، حتى إنه ليعد كافيا لتعرف آراء المستشرقين ، ومصادرهم ومؤلفاتهم ، وزبدة ما يمكن أن يعرضوا له من نقد وتقدير فى هذا الصدد . . .

وبعد . . .

فأرجو أن أكون قد أديت ـ بعملى هذا ـ بعض الواجب على ، وخرجت من لائمة اللائمين ، الذين يرمون بالتقصير بعثات الأزهر ، وأنهم لم يقدموا ـ كما هو المفروض ـ للعلماء مادة جديدة للبحث والنظر .

وإنى لأرجو ـ أيضا ـ أن يأخذ هذا الكتاب مكانه من البحث والنظر والنقد والرد ؛ فإنى لعلى يقين أن فيه أخطاء لا يمكن السكوت عليها ، وهى مأخوذة ـ عند جمهور من الناس ـ على أنها صواب وحق ؛ وأظن أنه لا يمكن ـ بحال من الأحوال ـ أن يصحح هذه الأخطاء المبنية على الجهل والغرض إلا علماء الأزهر الشريف ، الذين وقفوا جهودهم على الإسلام وعلومه ، وعرفوا مراميها ، وفهموا معانيها ، وكانوا ـ وحدهم ـ المرجع الصحيح لذلك كله . . .

* * *

ولقد كنت على أن أساهم بجد فى هذه المهمة مساهمة مذكورة ، لولا أن جدت ظروف تستدعى مبارحتى مصر ، ولكنى أرجو ـ إن شاء الله (تعالى) ـ أن تتاح لى الفرصة فى عملى الجديد لأن أعرض هذا الموضوع وغيره عرضا صحيحا وافيا ،

مبينا ما فيه من أخطاء . . . وأرجو أن يكون فى معاونة شيوخى وزملائى من العلماء الأجلاء ما يساعدنى على هذا العمل ؛ خدمة للإسلام والمسلمين .

وإنى لا يسعنى إلا أن أقدم شكرى - بوجه خاص - للأستاذ الشيخ محمد عبد القادر الحنبلى ، من علماء تخصص التدريس ، على ما بذل من مجهود فى مراجعة هذا الكتاب عند طبعه ، وضبطه وترقيمه ، وما قام به من دقة وعناية ، حتى ظهر كما يتجلى للقارئ . . .

والله (سبحانه وتعالى) هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل . ؟

القاهرة { ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٣ / ٢٠ مارس سنة ١٩٤٤

على حسن عبد القادر

فهرس الكتاب

الموضـــوع	صفحة
المقـــدمة	١ : ٤

المرحلة الأولى للتفسير :

تمهيد . التفسير والقراءات . سبب ظهور القراءات . القراءات والنقط . القراءات والشكل . الزيادات التفسيرية . ابن مسعود وأبى بن كعب . حقيقة الزيادات . أمثلة للزيادات . القراءات والترادف . مخالفات جوهرية . تحليل للقراءات . الاعتبارات الدينية فى الحديث . الدفاع عن بعض القراءات . القراءات وإهمال الكتاب . القراءة فى صدر الإسلام . حرية القراءة ومداها . فكرة التوسط . القراءة المعترف بها . القراءات السبعة . القراءات الزائدة على السبعة . عدم التقيد بالقراءات السبعة . موافقة القراءة للعربية . أهل السنة والقراء بالشواذ . أهل اللغة والقراءات . القراءات والأدباء .

١ : ٥٠

التفسير بالمأثور :

موقف السلف من التفسير . التفسير المكروه . التفسير والقصص . التفسير وأمور العقيده . التفسير بالعلم . التفسير المنقول عبد الله بن عباس . رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب . رجوعه إلى الشعر القديم . توجه المعاصرين إلى ابن عباس . تلامذة ابن عباس . تفاسير ابن عباس : نقد الإسناد . حقيقة التفسير بالمأثور

الموضوع صفحة

وجوه القران . تفسير ابن جرير الطبرى . طريقة ابن جرير. ابن جرير والقراءات. ابن جرير والإسرائيليات. انصرافه عما لا غناء فيه. اهتمامه باللغة . نظره فى أمور العقيدة.

٥١ : ٩٦

التفسير بالرأى :

المعتزلة وتفسير القرآن . تدخل العامة فى الاختلافات الدينية . فكرة التشبيه عند السلف . رؤية الله (تعالى). مجاهد والتفسير العقلى . المعتزلة والتفسير بالمأثور . تفاسير المعتزلة محاضرات الشريف المرتضى . اهتمامه بالطريقة اللغوية . تفسير الزمخشرى . اهتمامه بالناحية البلاغية . إعجاز القرآن . موقف أهل السنة من الزمخشرى. ابن المنير المالكى . حملة الزمخشرى على خصومه. موقف ابن المنير من الزمخشرى . مبدأ الزمخشرى فى التفسير . الخطوة الأولى فى التفسير الاعتزالى . التأويلات المجازية والتمثيلية . التمثيل والتخييل فى الحديث . اعتبار العقل والسمع . محاربة البدع والخرافات . الاعتقاد بالسحر. الجن . كرامات الأولياء . الكرسى . التأويل . حرية الإرادة وخلق الأفعال . اللطف . أحوال الآخرة . التفاؤل عند أهل السنة . تشاؤم المعتزلة . اعتماد الفريقين على القرآن . السخرية من المعتزلة . الشفاعة . حذق المعتزلة فى التفسير . تكلفات المعتزلة ومبالغاتهم . الصلاح والأصلح . العلماء الوقوف .

٩٧ : ١٧٣

تعقيب إجمالى : ١٧٤ : ١٨٤

المرحلة الأولى للتفسير

١

تمهيد

ينطبق على القرآن الكريم — إلى حد بعيد — ما قاله المصلح الدينى بتر ورنفلس (Peter Wernfels) عن الأنجيل : « كل يبحث عن رأيه فى هذا الكتاب المقدس ، وكل واجد فيه ما يبحث عنه ».

ففى مجرى التاريخ الإسلامى ، كانت كل حركة فكرية ، تحاول أن تجد لها فى النصوص المقدسة ما يبررها ، ويجعلها موافقة للإسلام ، وللوحى النبوى ، وبهذه الوسيلة وحدها ، كانت تستطيع أن تجد لها مكاناً فى الدين ، وأن تدعى لها حقاً فيه .

وهذه الجهود التى اعتمدت على الشرح والتأويل فيما حاولت من التوافق مع الدين ، كانت - بطبيعة الحال — المنبت الأول لوجوه النظر المختلفة فى « التفسير » ، الأمر الذى مالبث أن أصبح ميداناً بعيد المدى للتسابق فى هذا العمل . وسنصور فى هذه المحاولة الآتية هذا كله ؛ لنعرف بأى شكل ، وبأية طريقة ، سعت هذه الطرق الإسلامية المختلفة إلى أغراضها ، ومدى ما صادفته من نجاح .

***

التفسير والقراءات

والمرحلة الأولى لتفسير القرآن ، والنواة التى بدأ بها ، تتركز فى القرآن نفسه ، وفى نصوصه نفسها ، وبعبارة أوضح : فى قراءاته .... فى هذه الأشكال المختلفة نستطيع أن نرى أول محاولة للتفسير

وهذه القراءات المختلفة تدور حول المصحف العثمانى ، وهو المصحف الذى جمع الناس عليه خليفة المسلمين عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، وأراد بذلك ان يرفع الخطر الذى أوشك أن يقع فى كلام الله (تعالى) فى أشكاله واستعمالاته . وقد تسامح المسلمون فى هذه القراءات ، واعترفوا بها جميعا على قدم المساواة ، بالرغم مما قد يفرض من أن الله (تعالى) قد أوحى بكلامه

كلمة كلمة ، وحرفاً حرفا ، وأن مثله من الكلام المحفوظ فى اللوح ، والذى ينزل به الملَك على الرسول المختار — يجب أن يكون على شكل واحد ، وبلفظ واحد . وقد عالج هذا الموضوع بتوسع « نولدكه » فى كتابه « تاريخ القرآن ».(١)

سبب ظهور القراءات

والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب فى ظهوره إلى خاصية الخط العربى ؛ فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة ، قد يقرأ بأشكال مختلفة ؛ تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها ،(٢) كما أن عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل فى الخط العربى ، يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الأعراب ؛ فهذه التكميلات للرسم الكتابى ، ثم هذه الاختلافات فى الحركات والشكل ، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن(٣) ؛ ولبيان هاتين الحقيقتين نذكر هنا بعض المثل :

القراءات والنقط

فمن أمثلة القراءات التى كان سببها عدم النقط ما جاء فى سورة الأعراف آية ٤٨ : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . » بالباء الموحدة وفى قراءة « تستكثرون » بالثاء المثلثة ، وفى آية ٥٧ من هذه السورة : « وهو الذى

---

(١) T. Nôldke, Geschichte des Korans, Zweite Auflage bearbeitet von. F. Schwaly. 1 Teil, Leipzig 1909.

(٢) وترجع إلى هذه الخاصية هذه القصة : وهى أن أهل الأبلة زعموا أن عمر قرأ فى الصلاة فى آية ٧٧ من سورة الكهف : « فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما » : « فأتوا أن يضيفوهما » بالتاء أى جاءوا للضيافة . وذلك عندما قال المفسرون : أن هذه القرية التى أبت الضيافة هى الأبلة. (Journasiat 1862 11 74). وقد حكيت هذه القصة عن أهل أجادير (Telmsen) Basset Nedromah et les.: Traras (Paris 1901) Enieit. 12 Anm. 3.

(٣) قارن Nôldke, Geschichte des Korans 261 oben.

يرسل الرِّياحَ بشرًا بينَ يدَىْ رحمتِهِ » بالباء . وفى قراءة : « نشرا » بالنون . وفى آية ١١٤ من سورة التوبة : « وما كانَ استغفارُ إبراهيمَ لأبيهِ إلا عن موْعدةٍ وعدَها إيَّاه » بالياء المثناة التحتية، وفى قراءة غريبة لحماد الراوية : « أباه » بالباء الموحدة . وفى آية ٩٤ من سورة النساء تظهر — على الأخص — هذه الظاهرة فى كل الحروف تقريبا : « يأيُّها الذينَ آمنوا إذا ضربتم فى سبيلِ اللهِ فتبيَّنوا ولا تقولوا لِمنْ ألقىَ إليكم السَّلامَ لستَ مؤمنا » . وفى قراءة : « فتثبَّتوا » ورسم هذه الكلمة « فتثبتوا »[1] محتمل للقراءتين .

ولا يوجد فى هذه القراءات من ناحية المعنى العام أو الاستعمال الفقهى — على الحقيقة — فرق يذكر . وقد يوجد شىء من هذا فى المواضع الآتية :

فمثلا آية ٥٤ من سورة البقرة — حيث يدور الحديث حول غضب موسى عند ماعلم باتخاذ بنى إسرائيل لعجل من ذهب — : « يا قومِ إنكم ظلمتُم أنفُسكم باتِّخاذِكم العِجْل فتُوبُوا إلى بارئكم فاقتُلوا أنفُسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتابَ عليكم إنه هو التَّوّاب الرَّحيمُ . » فقوله (تعالى) : « فاقتلوا أنفسكم » معناه اقتلوا بعضكم بعضا ،[2] أو كما يعطيه ظاهر اللفظ : فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم ، وهو متفق مع ماوقع فعلا ، كما فى المصادر اليهودية . وقد رأى بعض شيوخ المفسرين (قتادة البصرى المتوفى سنة ١١٧ هـ) أن الأمر بقتل النفس أو قتل العصاة ، من القسوة والشدة بحيث لا يتناسب مع الفعل ، فقرأ : « فأقيلوا أنفسكم » أى حققوا الرجوع والتوبة من الفعل بالندم على ما فعلتم .

---

(١) حدث أبو عاصم النبيل (توفى سنة ٢٨٧) فى كتاب الديات بحديث يتعلق بهذه الآية ، فذكر مرة «فتثبتوا» ومرة «فتبينوا» ص ١٤ — ١٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ .

(٢) قارن آية ٣٣ من سورة النساء وتفسيرها عند ابن سعد ج ٦ ص ٥٢ .

وفى هذا المثال نرى وجهة نظر موضوعية كانت سبباً أدى إلى القراءة المخالفة ، وذلك على الضد من القراءات السابقة التى كانت فيها القراءات لا تعدو أن يكون الاختلاف فيها أمراً شكليا .

وتتجلى هذه الظاهرة ـ أيضا ـ فى الآيتين ٨ ، ٩ من سورة الفتح ، حيث يخاطب الله النبى قائلا : « إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه وتسبّحوه بكرة وأصيلا . » فقرأ بعضهم بدلا من « وتعزروه » بالراء : « وتعززوه » بالزاى ، من العزة والتشريف . وإنى أرى فى الانتقال من تلك القراءة إلى هذه القراءة ـ وإن كنت لا أجزم بذلك ـ (١) أن شيئا من التفكر فى تصوّر أن الله قد ينتظر مساعدة من الإنسان قد دعا إلى ذلك . حقا إنه قد جاءت فى القرآن آيات بهذا المعنى (سورة الحج : ٤٠ ومحمد : ٧ والحشر : ٨ وغيرها) ، بيد أن اللفظ المستعمل فى هذه الآيات وهو (نصر) يقوم على أساس أخلاقى تهذيبى ، وليس كالتعبير بلفظ (عزر) ـ وهى الكلمة المتفقة مع اللفظ العبرى (عزار) ـ ، والتعبير بعزر تعبير حاد ، يقوم على أساس من المساعدة المادية .

وقد جاء الشيء الكثير من القراءات فيما يتصل بهذا الرسم (ب) من حيث نقطه ، فيكون تاء أو ياء ، وإن كان ذلك لا يؤدى إلى تغيير ذى أهمية فى المعنى (٢) .

القراءات والشكل

وهنا نتناول دائرة الاختلاف فى الحركات فى المقطع الواحد ، مما نشأت

---

(١) ومن جهة أخرى لا يمكن أن نرفض أن تكون القراءة بالزاى هى الأصلية ، وأن القراءة بالراء جاءت تحريفا لهذا الحرف ، لأن القراءتين الأخريين ـ كما هو الأقرب إلى الطبيعة ـ طارئتان على قراءة (وتعززوه) .

(٢) Nöldke, 1,282 . وفيما يتعلق بمثل هذه القراءات روى أن النبى قال : « إذا اختلفتم فى الحرف وهل هو ياء أو تاء فاكتبوه ياء » . أسد الغابة ج ١ ص ١٩٣ .

عنه قراءات تتصل بالناحية الإعرابية وحدها [١] .

ففى سورة الحجر آية ٨ : « ما نُنَزِّلُ الملائكةَ إلا بالحقِّ وما كانوا إذاً منظرِينَ . » فاختلفت القراءات فى (ننزل) وتبع ذلك الاختلاف فى كيفية نزول الملائكة ، فبعض يقرؤها : « ننَزِّل الملائكة » ، وبعض يقرؤها : « تَنْزِلُ الملائكة » ، وآخر يقرؤها : « تُنْزَل الملائكة » ؛ وذلك على معنى أننا ننزلها ، أو أنها هى التى تنزل ، وهذه كلها قراءات ترجع إلى أقاليم مختلفة .

وقد تجىء ـ أحيانا ـ مع هـذه الاختلافات فى الحركات تغييرات فى المعانى ذات صفة قاطعة ، مثل آية ٤٣ من سورة الرعد : « ومَنْ عِنْدَه عِلْم الكِتابِ » ، وفى قراءة أخرى : « ومِنْ عِنْدِه عِلْمُ الكتابِ » . وهناك قراءة ثالثة : ومِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكتابُ » . والمعنى مختلف اختلافاً ظاهرا [٢] .

وتظهر ـ أحيانا ـ اختلافات فقهية من اختلاف الحركات الذى يرتبط ببناء الجملة فى الآية القرآنية ، والمثال المعروف لذلك آية ٦ من سورة المائدة : « ... فاغْسِلوا وجوهَكم وأيدِيَكم إلى المرافِق وامسَحوا بِرؤوسكم وأرْجلكم إلى الكعْبين » ، فالشيعة تجوز مسح الرجلين بدلا من غسلهما ، بناء على تعلق (وأرجلكم) بقوله تعالى : (وامسحوا) أى امسحوا بأرجلكم [٣] على حين أن غيرهم يجعله متعلقا على طريق المفعولية تعلقا مباشرا بقوله تعالى : (فاغسلوا) أى اغسلوا أرجلكم .

---

(١) من أهم ما نجده من هذا القبيل تلك القراءات المختلفة في حروف هذه الكلمة (أن) وهل هى (أن) أو (إن) بالتشديد فيهما ؟ أوهى فقط (أن) بدون التشديد ؟ وفى سورة آل عمران آية ١٦ ـ ١٨ نجد مثالا لذلك يتبين منه كيف يحاول الفن النحوى أن يجد سببا لهذا أو ذاك .

(٢) الكشاف فى هذه الآية ج ١ ص ٤٩٩

(٣) Vorlesungen 273

الزيادات التفسيرية

وهناك نوع آخر من الروايات يظهر فى هذه الدائرة ، ونعنى بذلك تلك (الزيادات التفسيرية) التى تجىء من التعليق على النص عند ما يكون هناك غموض ، فتساعد هذه الزيادات على تحديد المعنى .

ابن مسعود وأبى بن كعب

ويتجلى هذا النوع على الأخص فيما روى عن الصحابيين المعروفين اللذين ترك المحافظون [١] مصحفيهما وما يحتويانه من بعض السور [٢] ، وهما عبد الله ابن مسعود [٣] ، وأبىّ بن كعب [٤] . وقد اتخذ النصارى من قراءة الأول

---

(١) Nöldke 1,227,232.

(٢) من التهم التى وجهها النظام إلى ابن مسعود أنه جحد من كتاب الله تعالى سورتين : (المعوذتان) وأنه لم يزل يقول فى عثمان القول القبيح منذ اختار قراءة زيد بن ثابت . (ابن قتيبة ، تاويل مختلف الحديث ص ٢٦).

وقد رد هذه التهم أبو بكر الباقلانى ، فى كتابه : [الانتصار للقرآن] وخطأ الناقل لهذه المقالة عن ابن مسعود . كما أن أبا على بن أبى هريرة [المتوفى سنة ٣٤٥ هـ ، تلميذ ابن سريج] دافع عن ابن مسعود . وقال : إن ابن مسعود إنما أنكر رسمهما « المعوذتين » لأنه محال أن يظن بابن مسعود أن ينكر أصلهما [طبقات الشافعية للسبكى : ج ٢ ص ٢٠٧] وفى مجموع زيد بن على (Milano 1919.) رقم ١٣٨ أن المعوذتين من القرآن .

(٣) ذكر مرة باسم عبد الله بن مسعود (ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ١١٢ س ٩) وفى الغالب يذكر باسم ابن أم عبد (كتاب فضائل الأصحاب رقم ٣٥ ، ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٩٩ س ٣ ، وذكره ابن سعد أيضا فى باب ابن مسعود ج ٣) ، وهذا الشكل المختصر الغالب (عبد) فى كثير من الأسماء القديمة قد لفت النظر إليه؛ Z D M G, 21,265 (قارن: Wellhausen, Reste arab. Heidentum 4,12) ونجد مثل هذا النظم أيضا : أم عبيد بنت عبد ود (ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ١٠٦ س ١٨) .

(٤) وهناك صحابى آخر بهذا الاسم (أسد الغابة ج ١ ص ٤٩) ونجد فى كتب الحديث رجلا آخر بهذا الاسم (أبى بن كعب) فى إسناد فى صحيح الترمذى (طبعة بولاق) ج ٢ ص ٢٦٧ س ١٤ ، حيث سمى بصاحب الحرير ، وبينه وبين الترمذى فى الاسناد رجلان ، وبينه وبين الصحابى رجل واحد .

حجة فى جدالهم فى صحة القراءة المشهورة [١] وبالرغم من الاختلاف الذى تحتوى عليه مصاحفهما ، والذى لايقف عند حد الاختلاف فى الحروف والحركات والكلمات ، فإنهما قد تمتعا بمكانة عظيمة ، من ناحية أنهما أحسن الصحابة قراءة ، بشهادة النبى ﷺ لهما بذلك [٢] ، وكان أبىّ بن كعب من كتّاب الوحى ، وكان أقرأ الصحابة كما جاء فى الحديث . فكان — بطبيعة الحال — من أعرف الناس بالوحى [٣] . وقد سمع عبد الله بن مسعود من النبى ﷺ سبعين سورة وهو شاب ؛ وكان هو الذى يفشى القرآن بين المشركين فى مكة [٤] . وقد جاء فى الحديث الصحيح تفضيل هذين الصحابيين وآخرين من الصحابة : « تعلموا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبىّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل » [٥] وقد اعترف مجاهد المحدث المعروف بقيمة قراءة ابن مسعود حين يقول : « لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج إلى أن أسأل ابن عباس فى كثير من القرآن مما سألت » [٦] . وفى الحق — من جهة أخرى — أن ابن عباس [٧] رفض

---

(١) ابن حزم ، الملل (طبعة القاهرة ١٣٢١) ج ٢ ص ٧٥ .

(٢) ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٠٣ — ١٠٥ ؛ ١٠٢ .

(٣) راجع مثلا: Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten 5,(Texte) 2 No 24, 18 nr. 46, 47, 6.

(٤) ابن سعد ج ٣ ق ١ ص ١٠٧ س ٥ ؛ ٩ .

(٥) الحديث فى القسطلانى ج ١٠ ص ٢٧٨ (كتاب الأحكام رقم ٢٥) وقد جاء هذا الحديث فى ألف ليلة وليلة (بولاق ١٢٧٩) ج ٢ ص ٣٧١ — الليلة ٤٤٨ — ردت به بعض الرقيقات من العلماء عندما سئلت عن أوثق القراء من أصحاب المصاحف . قارن Caetani, Annali, 2, 117. حيث عد أفضل القراء أخذا من الأحاديث .

(٦) صحيح الترمذى ج ٢ ص ١٥٧ س ١٢

(٧) ابن سعد ج ٢ ص ١٥ س ١٥

قراءة أبيّ بن كعب ؛ فقد جاء أنه كان يتعلم منه ، ولكنه رفض أن يتبعه (١).

وقد رويت عن ابن مسعود بعض عبارات شديدة بصدد ما خولف فيه من القراءة العثمانية(٢)؛ حيث قد اتخذ غيره بجمع القرآن ممن لا أهلية له لذلك العمل ؛ فإن زيد بن ثابت الذى كلف بجمع القرآن (٣) ، وفوّض إليه إثبات القراءة كان طفلا يلعب مع الصبيان ، فى الوقت الذى كان فيه ابن مسعود يحفظ من فم النبى سبعين سورة من القرآن ، (٤) وفى بعض الروايات: « لقد أسلمت وزيد بن ثابت فى صلب رجل كافر » (٥). فكيف يصح أن تترك قراءته التى تلقاها عن الرسول مباشرة مع كل ماذكر ، مما يجعل لقراءة زيد قيمة أدنى من قيمة قراءته ؟

ويمكن أن يتبين لنا اعتبار الناس لروايات هذين الشيخين ، واعترافهم بها — بالرغم مما قد يكون فيها من مغايرة شديدة — من هذه الظاهرة ، (٦)

---

(١) قارن الاحياء ج ١ ص ٧٨ س ٣ .

(٢) وفى خبر عند ابن سعد (ج ٣ ق ١ ص ٢٧٠) أن ابن مسعود صرح بأسفه العميق عندما ذكر عمر ومخالفته له .

(٣) فى عصر ابن جبير (الرحلة طبعة دى غويه ص ١٠٤ س ٥) كان الناس يقدسون فى مكة بالبلاد المقدسة قرآنا فى قبة كتبه زيد بن ثابت بيده .

(٤) ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٠٥ س ١٥ ، Nöldke 1,225 Anm. 2 ، ومن القصص التى قصد بها تهوين أمر زيد ، أنه طلب إليه أن يقرأ سورة الأعراف فلم يستطع ذلك . ابن سعد ج ٥ ص ١١٢ س ٥

(٥) أسد الغابة ج ١ ص ٨٠ س ١٢ مادة إسماعيل ، وقد عد المتأخرون — وفى الغالب الصوفية منهم — زيد بن ثابت من الزهاد ، كما عدوا غيره من الرجال الذين لعبوا دورا فى صدر الاسلام ، وقد سمع من النبى حديث: «إن الحمى تنفى المعاصى كما ينفى الكير صدأ الحديد» (أسد الغابة ج ٥ ص ٦١٩) ، وهكذا توجه زيد فى صلاته إلى الله (تعالى) ألا يحرمه من هذه النعمة ، فلم يلبث أن أصيب بالحمى ومات (إحياء ج ٤ ص ٢٧٦).

(٦) فى حديث عن أبى ذر (فى البخارى كتاب التوحيد رقم ٢٢) أنه قرأ بقراءة ابن مسعود فى سورة يس آية ٣٨ : « ذلك مستقر لها ».

وهى أن بعض المتأخرين الذين حاولوا أن يبرروا موقف عثمان فى الأمور التى ادُّعى عليه أنه خالف فيها ، عدوا من هذه أيضا — مخالفته بإحراقه لمصحفى هذين الصحابيين الصالحين ، وإلقائه بهما إلى النار ، فبرَّروا ذلك بسبب جرىء ، وهو أن ذلك كان من أجل أن عثمان ولى الوليد بن عقبة على الكوفة ، وعزل ابن مسعود عنها . وقد كان الوليد لا يسير على وفق رغبات الفقهاء وذوقهم ، فأثار ذلك عبد الله بن مسعود ، فألقى فى ذلك خطبا مثيرة ضد عثمان [١] ، كما خطأه فى مسألة نفى أبى ذر [٢] ؛ وقد ذُكرت هذه القصة من بين تخطيئاته له [٣] إحراقه لمصحفه ، [٤] ومع هذا فلم يكن هذان الصحابيان هما وحدهما اللذان أبعدت مصاحفهما ، بل إنه قد أبعدت مصاحف أخرى لغيرهما .

حقيقة الزيادات

أما فيما يتعلق بهذه «الزيادات» نفسها ، [٥] ، فلم يتضح بعدُ تمام الوضوح هل هى — فى الحقيقة — من الأصل نفسه ؟ أو أنها ليست منه ، وكان القصد منها مجرد الشرح والتفسير ، فاعتبرها بعض المتأخرين على أنها من

---

(١) ابن هشام (طبعة وستنفلد) ٩٠١ ، وفيه وصف مؤثر لعلاقته بأبى ذر ، وقد دفن ابن مسعود جثة هذا الرجل الصالح التقى .

(٢) Vorlesungen 143

(٣) محب الطبرى ، الرياض النضره فى مناقب العشره (القاهرة ١٣٢٧) ج ٢ ص ١٣٩ س ٨ .

(٤) يراجع فى ذلك اليعقوبى (طبعة هوتسما) ج ٢ ص ١٩٧ ، ويظهر مفيدا جدا اهتمام مرجليوث فى : (Hibbert - lectures) بالنسبة للاعتذارات المعروفة عن إحراق المصاحف المخالفة لصحف عثمان فى كلامه على صحة الصحف العثمانى (The early development of Muhammedanism (London 1919 37 f.)

(٥) وكذلك ظهر فى بعض القراءات نقص مما فى القراءة المشهورة ، فلم يقرأ عبد الله ابن مسعود وأبو الدرداء فى سورة الليل آية ٣ قوله تعالى : « وماخلق » (البخارى ، فضائل الأصحاب رقم ٢٧ ، التفسير رقم ٣٥٠ — ٣٥١ .

الأصل ؟ وتبريراً لهذا العمل ، أعنى إثبات التفسير بجانب الأصل — روى عن الصحابة أنهم أجازوا ذلك « جواز إثبات بعض التفسير على المصحف وإن لم يعتقدوه قرآناً »(١).

أمثلة للزيادات

فمن ذلك آية ٥٠ من سورة آل عمران « وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ (القراءة المشهورة بآية) مِنْ رَبِّكُمْ فاتَّقُوا اللهَ [من أجل ما جئتكم به] وَأَطِيعُونِ[فيما دعوتكم إليه] »(٢). فهذه الزيادات المذكورة بين الأقواس قد رويت عن ابن مسعود ، وهى تبدو — بالنسبة للأصل القرآنى — من قبيل الإضافات (Paraphrase) ، وفى آية ٦ من سورة الأحزاب (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ... وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » وزاد ابن مسعود (٣) — تمكيناً للمعنى مكان النقط (٤) — : (وهو أب لكم) (٥)، وفى آية ٢١٣ من سورة البقرة: « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ » فقرأ هذان الصحابيان — للتوفيق المنطقى — هذه الآية هكذا : كان الناس أمة واحدة[فاختلفوا].

ومن الزيادات التى تنسب إلى عبد الله بن مسعود ماجاء فى آية ٧٠ من

---

(١) الزرقانى على الموطأ ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) الكشاف عند هذه الآية ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) وقد نسب الزمخشرى هذه القراءة له (الكشاف عند هذه الآية ج ٢ ص ٢٠٦، ٢٠٥).

(٤) الجاحظ فى رسائله (Tria opuscula 19,12) وقد جعل هذه الزيادة بعد قوله تعالى: « أمهاتهم » ، ولم يصب لامنس فى فهمه واستنتاجه لهذه المسألة عند الجاحظ (Fatima et les filles de Mohamet 98 Anm. 4)

(٥) ولقد صرح القرآن فى نفس هذه السورة آية ٤٠ برفض أن يكون الرسول أبا للمؤمنين .